

أربعة كتب

— ٤ —

بقلم الأستاذ : عبد الحميد الرضوي

٤- غاية المرام في تأريخ خاسن بغداد دار السلام للخطيب العمري

١- قبل الكلام عن هذا الكتاب وأهميته نترجم لصاحبه وقد ذكر هذا المؤلف المحقق الأدب الفاضل القس سليمان الصائغ في تاريخ الموصل وذكره أخوه في كتاب منهل الأولياء الذي لا يزال خطياً وذكر طابع كتابه : غرائب الأثر في مقدمة الكتاب وذكره الأب شيخو في آداب اللغة العربية في القرن التاسع عشر، ونقول هو ياسين بن خير الله العمري ولم يعرف بالتحقيق سنة وفاته وآخر شيء لدينا من كتاباته التاريخية سنة « ١٢٢٥ » هـ ولذلك يظن أنه توفي حوالى هذه السنة أو بعدها بقليل أما ولادته فكما ضبطها أخوه في سنة ١١٥٧ هـ وكان المؤلف ذا اطلاع على عدة فنون وله خبرة في الطب وهو من عائلة يغلب عليها العلم والأدب وكان أبوه خير الله مدرساً درس على يده عدة علماء منهم ولده محمد أمين صاحب المنهل والمؤلف يغلب عليه النزعة التاريخية لذلك كان أغلب كتبه في التاريخ وإن الف في غيره وله شعر لا بأس به كما يظهر من كتابه هذا وغالبه في المدح واليك أسماء كتبه

١- منهج الثقات في تراجم القضاة اهداء لعبد الله بن السيد خليل البصري ومنه نسخة في مدرسة الخياط بالموصل (٢) الدر المكنون في مائر الماضية من القرون « ٣ » الروضة الفيحاء في تواريخ النساء « ٤-٥ » السيف المهند فيمن اسمه أحمد اهداء للوزير أحمد باشا الجليلي وقرة العينين فيمن اسمه الحسن والحسين اهداء للوزير حسن باشا بن حسين باشا الجليلي ومن هذين الكتابين نسختان في مكتبة عبد الله أفندي العمري (٦) الدر المنثر في فضلاء

القرن الثاني عشر (٧) عنوان الأعيان في ذكر ملوك الزمان (٨) عيون الأدب « ٩ » الخريدة العمرية في الطب (١٠) منية الأدباء في تاريخ الموصل للديباجة ومنه نسخة في المتحف البريطاني وله غير ذلك ولم اطلع على شيء من كتبه إلا هذا الكتاب الذي خصصنا البحث له وعلى كتاب غرائب الأثر في أعيان القرن الثالث عشر الفه للوزير يحيى بن نعمان الجليلي وقد طبع هذا الكتاب في الموصل قبل مدة قليلة وفي باب من أهم الكتب . بعد المقدمة ابتداء بحوادث سنة « ١٢٠٠ » هـ وختمه ببعض حوادث سنة « ١٢٢٦ » هـ ولم يتم هذه السنة وهذا ما يؤيد أن وفاته كانت في هذه السنة والكتاب مجموعة من الحوادث العراقية التي وقعت في هذه المدة ولا تخلو من اغلاط نحوية وعبارات ركيكة مبتذلة وضعف في الأسلوب شأن أهل ذلك العصر واليك نموذجاً من الكتاب قال في حوادث سنة (١٢٢٣) هـ وفيها قدم من الوهابي ركب على الجمال أكثر من ألف نفس ونزلوا على مشهد الامام الحسين واحاطوا بالسور فاحس بهم أهل المشهد وقتلواهم على السور وقتلوا منهم اثني عشر رجلاً وقيل أكثر وهزموهم وبعثوا بخبرون والى بغداد سليمان باشا فبعث العساكر مع كتيخدا فيض الله ونادى في بغداد النفير النفير الى قتال عرب الوهابي وتبعوهم حتى هزموهم وابعدهم عن العراق وراح الله الخلق من أهل النفاق) والكتاب الثاني الذي اطلعت عليه كتاب غاية المرام

« ٢ » وهو من الكتب الثمينة في تاريخ العراق والكتاب وإن كان عنوانه خاصاً ببغداد فالمؤلف توسع في تاريخه فأصبح تاريخاً للعراق جميعاً وأرخ به أغلب حوادث المدن العراقية في الشمال وبعض المدن في الجنوب كالبحريرة وكر بلا والموصل والعمادة والكوفة وبغداد والسميكة وزاخو وكر كوك واربيل وسامراء وتلعفر وغيرها وذكر جملة من علماء وأدباء هذه المدن وولاتها فالكتاب نافع جداً في تاريخ الحوادث العراقية وتسجيل أحول الولاة العثمانيين وما قاموا به من أعمال وهو يماثل كتابه غرائب الأثر في الاغلاط النحوية واستعمال بعض العبارات العامة وفيه

تراجعت عزيزة نادرة عن رجال الموصل وبغداد ممن زار
وتحول الى هذين البلدين وتأريخ عائلاتهم امثال آل
فخر زاده وآلى الجلبى وآل العمري وآل الجلبى وغيرهم
والكتاب قدمه مؤلفه الى الوزير يحيى بك الجلبى ومدح
هذا الوزير في اوله مدحاً مفرداً واليك شيئاً من مباحثه
لتعرف قيمته الادبية والتاريخية قال في موضوع الحلة بعد
ان ذكر تاريخها متسلسلاً « وفي سنة (٥٥٨ هـ) اجلى الخليفة
المستنجد بالله العباسى بنى اسد من الحلة وقتل بعضهم واعطى
بلادهم الى ابن معروف واندست معالم آل مزبد وزال
ملكهم وذهب عزهم .. » وقال في موضوع رجال الحلة
وادباؤها (احمد الخلي النحوي احد المعاصرين كان شيعياً له
ادب وشعر وافر وفضل متكاثر وفي شعره مدح الامام علي
توفي سنة « ١١٨٧ » هـ في طاعون بغداد » وقال في
تاريخ « عانة » « وفي سنة « ١٢١٦ » هـ على غفلة غارت
فرقة من عرب الوهابي على « عانة » ونهبوا بعض البيوت
وقتلوا رجال عانة نحو اربعين رجلاً وعادوا على اعقابهم
منهم مائة .. ومروا على الكبيسة وهموا بنهبها فحمل فرقة
عرب العبيد عليهم وهزمهم .. » وقال في ترجمة رجال
« تلغفر » الشيخ مراد المجذوب التلعفري صاحب الكشف
قدم الى الموصل وفيه جذب رباني فكان اذا حمل الحال
ترك الصلاة وطاف بالاسواق .. ثم اذا حصل له السكون
رجع الى الصلاة وقراءة القرآن وظهرت له كرامات ومن
جملة من شهد كراماته مؤلف هذه الأوراق توفي
سنة ١٢٠٢ هـ وفي الكتاب فضل ممتع عن البصرة وكر كوك
ورجالها بترجمة واسعة وكذلك عن العمادية وتاريخها
وبنائها وولاتها وذكر هناك فصلاً ممتعاً عن زراعة التين
وكيف انتشر اندخان بين الناس في تلك الاصحاح وقال
حدث شرب التين سنة الف للهجرة وذكر هناك ان بعض
فقهاء العمادية حرم التين وإلف كتاباً في تحريمه اتى فيه
بكل لفظ غريب وطرق لذكر الزبدي وحوادثهم وتاريخهم
مفصلاً كذلك ارجح الاكراد وامراء عم في العمادية واطرافها
وفي الكتاب فصل مهم عن ملوك العراق بعد انحلال الدولة

العباسية حتى عصر المؤلف ولا سيما عن امراء العثمانيين
الذين حكموا العراق والماسي التي عملوها ومما قال هناك
« .. وفي سنة الف ومائة وست عشرة ولى بغداد الوزير
حسن باشا قدم من الروم وملك هذه التخوم فلما استقر في
بغداد سار الى مكان وهو قلعة على جبل مطال على نهر دجلة
بين بغداد والموصل حاصر اهلياً ونهبهم وقتل معظم رجالها
وطلبوا الأمان فامنهم على نساءهم واطفالهم وعاد الى بغداد
وفي سنة ثمان عشرة حارب بني لام وسناعم كآس الحمام
وفرق جموعهم حتى صاروا ايدي سبا وسنة ثلاث وعشرين
قدم الى الموصل وتوجه الى جبل سنجار واحل باذله الرماح
ونهب وسلب وقتل وعصب حتى اذلهم وافقر غنيهم .. »
وفي الكتاب فصل مهم عن رجال بغداد المتأخرين ومما
قال هناك (محمد الجواد البغدادي كان فرداً بالآداب وكان
يتشيع وله شعر فنه .. الخ توفي بعد الالف والمائة والسبعين
السيد حسن العطارد البغدادي .. احد ادباء عصره شاعراً
فريداً في بابيه فن شعره .. الخ السيد حسين البغدادي شاعر
مجيد فن قوله ... الخ السيد نصر الله المشهدي البغدادي
اوحد عصره ادباً وفيه تشيع ومن نظمه مشطراً أبيات دعب الخ
ويظهر من نسخة المكتبة العامة انها بخط المؤلف نفسه
وفي اخرها يقول « تم الكتاب بعون الملك الوهاب فاجر
يوم الاربعاء الحادي والعشرين من شعبان سنة الف ومائتين
وعشرين على يد مؤلفه وجامعه الفقير ياسين العمري (١٢٢٠ هـ)
وليست هذه النسخة الوحيدة بل هناك نسخ اخرى منها
عند البجائة الاستاذ يعقوب سر كديس ونسختان عند الآب
انستاس في خزانة كتبه ونسخة عند الاستاذ العزاوي
وما اتمناه لهذا الكتاب هو ان يهيأ رجل فاضل فيحذف
منه الأبحاث التاريخية الكثيرة التداول في كتب التاريخ
القديمة امثال بحوثه عن انهر بغداد والبصرة القديمة وقرى
هذين البلدين القديمة وما الى ذلك من الابحاث التي نقلها
بنصها من كتب القدامى امثال ابن الاثير وابي الفداء
وياقوت وغيرها وبعد الحذف والتنقيح اضافة ما يلزم بطبع
هذا الكتاب ليكون مرجعاً مهماً في تاريخ العراق المتأخر ..